

١- النظرية الحتمية:



مونتسكيو (Montesque) صاحب كتاب روح القوانين

يقر أصحاب هذه النظرية بأن البيئة هي التي تسيطر على الإنسان و أن هذا الأخير خاضع بكل ما فيه للبيئة، مستندين في ذلك على مقارنات بين مجتمعات مختلفة من حيث الخصائص الطبيعية و التفوق البشري، و مع ظهور نظرية التطور لشارل داروين، ظهر معها في المقابل العديد من مؤيدي نظرية الحتمية و التطور.

و قد تعرضت هذه النظرية لانتقادات كثيرة أهمها: أنه لا يمكننا أن نقر بحتمية أي عامل من العوامل الطبيعية في تأثيره على الإنسان إذ أن التطور التكنولوجي ساعد المجتمعات البشرية للتغلب على قساوة الظروف الطبيعية و فك العزلة و الانفتاح على حضارات و ثقافات جديدة غير من طريقة تدخل الإنسان في بيئته. وقد شغل أيضاً موضوع العلاقة بين الإنسان والبيئة وأثر البيئة على التجمعات البشرية وأن بعض المفكرين من بينهم بودان Bodans ومنتسكيو وقد أعتنق بودان مبدأ الحتمية

إذ ربط بين المناخ وطبائع الناس وتبين أن البيئة تؤثر في طبائع الناس وتفكيرهم وقد ذكر أن أهل المناطق الجنوبية الحارة لهم القدرة على التمييز بين الحق والباطل ولكن طباعهم الأخذ بالنثر والمكر في حين يمتاز أهل المناطق الشمالية الباردة بالقسوة والمخاطرة، بينما أهل المناطق المعتدلة أكثر يقظة من أهل الشمال وأكثر نشاط من أهل الجنوب وقد حاول مونتسكيو أن يربط كما فعل بودان من قبلة وأبن خلدون بين طبائع البشر وصفاتهم وبين البيئة، فأعتبر الإنسان كائناً فرداً أو وحدة طبيعية تقابله قوتان وهما المناخ والتربة

٢- نظرية الإمكانية:



دي لابلاش - أبرز رواد المدرسة الإمكانية

يعتبر الجغرافي الفرنسي فيدال دولابلاش Paul Vidal de La Blache من مؤسسي المدرسة الإمكانية. فيقترح النظر إلى الوضع المكاني الجغرافي على أنه "احتمال" أو "إمكانية"، وبرز هذا التيار كتصحيح للحتمية الجغرافية الصارمة، بدعوى أنه يجب أن يضاف دور الإنسان إلى العوامل الطبيعية، لكون الإنسان هو صانع القرار الذي يجعل من العامل الجغرافي فعالاً أو غير ذلك. وتظهر إمكانية الإنسان في المشاريع التي أقامها إذ يشكل دوراً كبيراً في تعديل بيئته وتهيئتها وفقاً لمتطلباته واحتياجاته. بدوره هذا التيار الفكري تعرض لعدة انتقادات تلخصت في كونهم عظموا من دور الإنسان في البيئة الذي يصل به إلى حد السيادة و الدكتاتورية للتحكم في البيئة، إذ نتجت عن هذه السيادة مشكلات عديدة تتجلى في "مشكلات عدم الاتزان البيئي". قد أعترض على الحتمية راتزل وأتباعه ونادى باحترام قدرات الإنسان وإمكانياته، ومع اعتراف (الإمكانين) بسيادة الإنسان وسيطرته على الممتلكات إلا أنه لا يملك الحرية الكاملة في تغيير بيئته إذ مازالت تضع أمامه حدود لم يستطيع أن يجتازها فقلة الأمطار وندرة المياه لا تيسر قيام حياة الاستقرار، والإمكانين بصفة عامة أكثر حذراً وحيطة من الحتميين في معالجة موضوع العلاقة بين الإنسان والبيئة، والخلاصة أن الجغرافية في نظر أصحاب الإمكانية لم تكن مهمتها في أي ناحية من نواحي دراستها

هو البحث عن القوانين الجغرافية أوضعها وإنما مهمتها الأساسية هو دراسة الإنسان والأرض أو دراسة التجمعات البشرية وعلاقتها بالمرح الجغرافي الذي تقيم عليه. هذا هو الإطار العام الذي رسمه فيدال دي لا بلاش للتفكير الجغرافي في فرنسا منذ ان شغل كرسي الجغرافية في جامعة السوربون عام (١٨٩٨) واذي سار على نهجه من بعده عدد من التلاميذ المخلصين الذين دافعوا عن آراءه بحماس. أما في إنكلترا فقد قاد التفكير الجغرافي الحديث روكسي وفليور.



جامعة السوربون - باريس (فرنسا)

٣ - النظرية التوافقية (الثنائية):

تسمى كذلك بنظرية الاحتمالية، فهي لا تؤمن بالحتمية المطلقة و لا بالامكانية المطلقة و إنما تؤمن بدور الانسان و البيئة و تأثير كل منهما على الآخر. و ظهر هذا التيار كحل وسط بين الحتمية و الإمكانية. و ارتكزت مبادئها الأساسية على تصنيف نوعية البيئة و نوعية التدخل البشري.

ظهرت في النصف الاول من القرن العشرين وزيادة المعلومات الجغرافية الخاصة بالإنسان والأرض ،ظهرت صورة واضحة الثنائية في الجغرافية ووجد قسم من الباحثين من الفصل بين الجغرافية وعاملها البشري.

ويشمل القسم الأول دراسة السكن والسكان ،ووسائل النقل والإنتاج الصناعي والزراعي والمعدني ،وبصفة عامة الاستغلال الاقتصادي للأرض والمظاهر المادية

الملحوظة الناتجة عن تفاعل الإنسان مع البيئة. أما القسم الثاني فيظم دراسة المناخ ومظاهر التضاريس المختلفة والتربة والثروات المعدنية والمياه الباطنية والحياة الحيوانية بجميع مظاهرها. هذا وشهد القرن العشرين تقدماً ملحوظاً في ميدان الجغرافية الطبيعية بفضل الدراسات الحقلية المختلفة التي تقدم بها العلماء المهتمين بهذه الدراسة لتفسير نشأة الأرض وتوزيع اليابس والماء ، ولشرح الظواهر التضاريسية الرئيسية. والعوامل المختلفة التي تأثر في تاريخها الجيولوجي ، ولتفسير بعض الظواهر الجوية المعقدة كالأعاصير والانخفاضات الجوية وتقسّم العالم الى أقاليم مناخية.

وعلى مستوى البيئة تم التمييز بين الانسان وبيئته:



لذا تعتبر العلاقة بين الانسان والوسط الطبيعي من اهم محددات البيئة، إذ أن الوسط الطبيعي خلق لمد العون للإنسان. وأن العلاقة بين الطبيعة والانسان في المراحل الاولى من تاريخه كانت علاقة انسجام وتناغم وارتباط وثيق منتعش بسعادة. فبعد أن كانت الطبيعة مصدر تأمل ومعرفة وانسجام واحترام ومحبة، واستفادة من خير وعطاء غيرت النظرة إلى الطبيعة مع العلم الحديث خاصة مع ظهور الصناعة التي جعلت الإنسان يتدخل في الطبيعة باعتبارها موضوعاً لنشاطه وسيطرته، حيث سعى إلى تغييرها وتطويرها تلبية لطموحاته. و ترجم هذا الاستغلال في صورة العلاقة المتبادلة و إن كانت الاستفادة للإنسان أكثر بكثير لذا فقد انشغل العديد من العلماء و المفكرين بقضية العلاقة بين الإنسان و البيئة، و تعددت النظريات التي تحدد أنواع العلاقات المتبادلة. مثل:-

- بيئة صعبة تحتاج لمجهود كبير للتكيف معها
- بيئة سهلة تستجيب لأقل مجهود بشري
- بيئات أخرى متفاوتة الصعوبة تقع بين البيئتين.

على مستوى المجتمعات و التدخل البشري

- إنسان إيجابي يتفاعل بشكل كبير مع البيئة لتحقيق رغباته
- إنسان سلبي محدود القدرات و المهارات
- يقع بين الفئتين مجموعات بشرية مختلفة في المهارات و القدرات

و بهذا تم تحديد علاقة الإنسان في البيئة بأربع استجابات مختلفة

استجابة سلبية

استجابة التأقلم

استجابة إيجابية

استجابة إبداعية

الجغرافيا الحديثة :

طراً على الجغرافية تغير كبير، وقد ظهر أثر هذا التغير في أتساع رقعة المعمورة وفي تطور الفكر الجغرافي ودراسة الأنسان والبيئة ففي أثناء القرن (١٨) ظهرت نظريات مختلفة تفسر وجود المجموعة الشمسية وتشرح تكوين تضاريس القشرة الأرضية، التي أرجع فيها تكوين المجموعة الشمسية الى قوتي الجذب والطررد للأجسام الصغيرة الصلبة التي كان يزخر بها الكون، كما ظهرت نظرية الأرض.

كارل ريتز وهمبولت وفرديريك راتزل:

فقد حاول ريتز أن يحدد العلاقة بين تاريخ الأنسان وبيئته الطبيعية وأعتمد في ذلك على الملاحظة الدقيقة المقارنة المتضمنة البحث عن القوانين الطبيعية التي يعيش في ضللها الأنسان. أما همبولت فقد بين بين الأنسان وبيئته ويتوصل الى نتيجة هامة وهي أن الأنسان قادر على الفرار من القوى الطبيعية ولاسيما المناخ وذلك بفضل مقدرته العقلية. وقد اهتم كل منهما بالظواهر الطبيعية والبيولوجية لسطح الأرض ، كما وجها اهتمامهما أيضاً الى أبراز أنه لا يمكن فهم الظواهر البشرية في أطار منفصل عن الظواهر الطبيعية لأنهما مرتبطان مع بعضهما. ورغم الجهود السابقة فقد ظلت العلاقة بين الأنسان وبيئته غامضة حتى نهاية القرن التاسع عشر حينما نشر راتزل كتابه ((جغرافية الأنسان)) (١٨٩١-١٨٩٢) وعرف فيه الجغرافية البشرية بأنها دراسة مظاهر سطح الأرض وعلاقتها بالإنسان على أسس منظمة.